هالا محمد

قالت الفراشة

شعر



قالت الفراشة

قصائد كتبت بين
عامي ٢٠١١ و٢٠١٢

هالا محمد

قالت الفراشة

شعر



Butterfly Said

Poem

Hala Mohammad

First Published in June 2013

An Imprint of Riad El-Ryyes Books S.A.L.
BEIRUT - LEBANON
elrayyes@sodetel.net.lb - www.elrayyes-books.com
www.elrayyesbooks.com

ISBN 978 - 9953 - 21 - 568 - 6

الطبعة الأولى: حزيران (يونيو) ٢٠١٣

لشراء النسخة الإلكترونية:
www.arabicebook.com

تصميم الغلاف: هوساك كومبيوتر برس

المحتويات

الإهداء

إلى السّوريين على ضفافِ بحيرة الدّمعِ والدّمِ والأملْ.

. . .

I

قالت الفراشة

١

فراشةٌ

حطّت على كفّي هذا الصباح

حمولةُ الألوان

تُهمتها.

٢

بَيني وبينَكَ

سِلسلة جِبال شاهقة من الوِدادْ

وَصداها من الجَفاءْ.

بيني وبينكَ ابتساماتٌ

دموعٌ . . .

ثيابٌ

عن حبلِ الغسيل

تستفيقُ على أجسادنا.

جيوبٌ

تُخشخشُ بالإفلاس

طامورةُ الفَخَّارِ

طِفلٌ

يَنامُ ويكبرُ في حضنكَ.

بيني وبينكَ

وشمُها...

شامُها...

شامَتُها...

سنّها الذهب... صيغتُها في حياتها الدنيا.

بيني وبينك من كل الفراشات والألوان

لغاتٌ...

وخارطةُ العالمِ على الحائطِ

عواصمهُ

شبابيكُ البيتِ.

بيني وبينَك سائقُ الباصِ العمومي

باصُ البلديّة

على طريق المدرسة

. . .

يُزمّر في الحاراتْ

ينتظرْ

يَتفقدنا مُستقبلاً مُستقبلاً.

. . .

أصدقاء

موالاة. . . معارضة

أبيض. . أسود

أحمر. . .

والرماديّ

بيني وبينكَ.

الرّكضُ في حديقة المقبرة على الجبل

عند صلاةِ العصرِ

الارتماء في حضن الرياحينِ

سقايتها

إخطار الغائبين بمواعيد الغروبِ

حماية الموتى...

بالبخور.

هذا الزيح من الزمن

بين وداعٍ ووداع

مُلغى بيننا...

ولنْ تُفرِّقنا سُنونٌ مَرَّتْ على أجسادنا

كالمدحلةْ.

سنونو أنا

في ربيعكَ

وهذا القشّ

. . .

عمري.

٣

أيها السنونو

الراحلُ عن ربيعنا

تمهّل...

في بوري الصُّوبيا الحَطَب

الدَّاخِل إلى البيتْ

نَسيتَ الصَّدى.

أيها السنونو

الريشةُ

في النافذةْ

زَيَّنا بها صورةَ الشَّهيدِ

فطارَ الموتُ مِنَ الصُّورةْ.

أيها السُّنونو

تَمهّلْ. . .

القشّ لِمَنْ يَبنيهِ.

٤

لا وقتَ للرياحينِ

القبورُ

كأنَّها عابرةْ.

ليسَ موتاً هذا الموتُ.

الأجسادُ ساخنةْ

ضاحكةْ

حارّةْ

حُرّةْ

كأنها تحيا

كأنها لا تموتُ.

الطاغيةْ

يُردي الموتَ قبراً قبراً
يُنهي القبورَ
كي لا يبقى
احتمال قبروحيدٍ لهُ.

٥

بصدرٍ عارٍ
تَسقطُ الدَّفاترُ . . .
دُروسُ التَّعبيرِ وَالقراءةْ
سندويشات الخُبز الطَّريّ
وَمُثلثاتُ الجُبنة الضاحكةْ.

أقلامُ الرَّصاصِ
تعاونَ الأهلُ على بَرِيهَا
في البيتِ
توضيبها في حقيبة المدرسةْ . . .
بالرَّصاصِ الحَيّ
تَذوي.

. . .

القاتلُ الأميُّ. . .

يُلقّنُ ابنهُ الحَبيب

درسَ التلوينِ

بالأحمرْ. . .

في دَفترِ الرَّسمِ:

الشَّارعْ.

٦

الدّبابةْ

في حديقةِ البيتِ

تُلاحقُ الفراشةَ:

الشّاهدْ.

كي لا تشفّ

كي لا تبثّ

المَجزرةْ.

٧

غبشُ الزجاج

دموع الشبابيكْ.

٨

قالت الفراشة: أنا تُركيّةٌ. . وأنتِ؟

قالتِ اللاجئة: أنا.

قالتِ الفراشة: كم عمركِ

قالت اللاجئة: مِتُّ من سبعةِ أيامٍ.

قالت الفراشة: موطنكِ؟

قالت الطفلة: بيتي.

قالت الفراشة: جيرانكِ؟

قالت: أزهار الحقول في جسر الشغور.

قالت: أمك؟

. . .

تَلفَّتَتْ

في الخيام البيض

في العدم

في صقيع الضوء

في الكفن. . .

. . .

لا يحقّ للاّجئ تاريخاً ولا جغرافيا. . .

. . .

تلفتتْ

تلفتتْ

كَبُرَتْ

شابتْ

وأشارتْ. . .

إلى بلادٍ قريبة

أمامَها خلف الحدود

سماؤها زرقاء

بلا حدود

تَهجّتْ اسمَها حرفاً حرفاً

قبّلتْ اسمَها حرفاً حرفاً

انحنتْ. . .

باست شطَّ تربتها

وقالت: سوريا.

٩

لغةُ اللاجئ الضيف الصمت

لا صوت للآجئ. . .

يُقفلُ البابَ على صوتِهِ في البيتِ

ويخرجُ

من بوابة التاريخِ بلا ذرّةِ جغرافيا.

المفرداتُ. . .

تتساقطُ من صرر الثيابِ

من التعبِ. . .

من ثقوبِ الجيوبِ

تقفز من أفواهِ الصغار. . . النيامِ

تتمرجح على التراب. . . تتشبّثُ بالترابِ

المفرداتْ.

تهاجرُ الأسماءُ

ويبقى على الأرضِ الكلامْ.

لا

لا

لا تعادلُ خيمةٌ قبلةْ...

يا سيدي.

ملح الدمع

أبيض.

لا هوية في الخيام

لا هوية للخيام...

. . .

سرابٌ . .

قماشُ الضيافةِ الأبيضْ

المنيعُ على الضحك

المنيعُ على اللمسِ

المنيعُ

على البكاء

. . .

بياضُ الكفن.

. . .

كيف يخرجُ الطفل إلى الخارج

كيف يدخل الطفل إلى الداخلِ

أي دوارٍ . . .

هذا الحنين الحارقُ

إلى العتبةْ.

هسّ... يقولُ لهُ المطلقْ

هسّ... تقولُ له الشمس

هسّ... تقولُ لهُ الحقيقةْ

هسّ يقول له اسمهُ

هسّ يشير لاسمه

...

وَيغرقْ.

١٠

هذي الصّواري البيض

ليست مراكبَ للسَّفَرْ. . .

إشارات استفهامٍ

تنبتُ في الأفق

. . .

حبالٌ

جدائلُ الهنود الحمرِ

ابتساماتٌ

تؤرجحُ الأحزانَ من أقصى الحنين إلى أقصى الحنين.

. . .

الطفل الفلسطيني الضليع في فقه الخيام

استدارَ صوبها

ويكى.

١١

صارَ لها

حبالُ غسيلِ الخِيام

غسيلٌ ملونٌ

يُغمضُ عينيهِ تَحتَ قرُص الشمسِ كالحمامْ

وفي الفيء

حبكة حبكة

يقطر تاريخه

تلبسهُ الفراشاتُ

ألواناً

تقي حدّةَ الوحدةِ

والظلامْ.

١٢

حبلُ غسيلٍ بالألوان

يرفُّ في هذا العدم...

...

معجزةْ.

١٣

الفراشاتْ

التي هاجرتْ معَ العائلاتْ

على صُور الثيابِ

على زهورِ أثوابِ البنات

في جيوبِ الجَدّاتِ

في دُعاءِ الأمّهاتِ

على الحدودِ

خلعتْ ألوانَها

دخلتْ منفاها

صورة تذكاريّة

بالأبيضِ والأسودْ.

١٤

أيتها الحرية. . .

تعرفينَ شعوبَ الأرضِ

. . .

أتقدم إليك بطلب الانتساب

من بوابة التاريخ الفسيحة

اقبلينا. . .

ابحثي عنا

نحن في أرشيفك القديم. . .

منذ سالف الزمان والمكان

. . .

أجدادي سجلوا اسم بلادي في ملفاتكِ.

. . .

حدودنا

لغات الأرض

أفراح البشرْ

والأحزان. . . حدودنا.

. . .

أيتها الحرية

افتحي النافذة

هذي الشوارع التي تدخل بوابة التاريخ الآن

تشدو باسمك. . .

هذي. . . بلادي.

١٥

أسماؤكِ يا بلادي

ترفُّ في قلبي

تحرمني النوم

تلاعبني

تبكيني

وتدميني:

درعا

دوما

داريا

القابون

الميدانْ

برزة

الحراك

جاسم

الصنمين

السويداء

تلبيسة

الرستن

جسر الشغور

تلكلخ

معرّة النعمان

بابا عمرو

باب السباع

الخالديّةْ

البياضةْ

كرم الزّيتونْ

حمص

حماه

القبّيْر

أنخل

بصرى الحرير

اللاذقية

السكنتوري

الحفّةْ

بانياس

طرطوس

دير الزور

كفر تخاريم

إدلب

الرقة

الحسكة

القامشلي

عامودا

كفر نبل

بنّشْ

الزبدانيْ

جبلة

حلب

دمشق

يبرود

النّبكْ

صَدَدْ

القْصيرْ

الميادين

السَّلَميّةْ

سلقينْ

الحولةْ

التريمسةْ

المليحةْ

. . . . . .

. . . . . .

. . . . . .

عاشَ من سَمّى وعِشتِ.

١٦

الفراشةْ

تَرِفُّ أمْ تَترنَّحْ

دمعنا هذا أمْ دمنا

علمٌ هذا الذي يلطمُ السَّواري

على قلاعكِ الصمّاءْ

أم روحُ طفلْ. . .

كفنٌ هذي الخِيامْ. . .

أم قلوبنا تنبضُ في العراء!.

سوريا هذهِ

أمْ. . .

أمُّ الشّهيدْ!.

١٧

هذا الصباحْ

لمْ يَستيقظِ الأزرقْ

ولا حَمزةْ أفاقْ.

ملاحظة : حمزة الخطيب... ١٣ سنة، اختطفه الأمن أثناء حصار درعا، استشهد تحت التعذيب، صار رمزاً من رموز الثورة.

١٨

إلى القاشوش

سمعتُ أن العاصي

قهقهَ بالبُكاءِ

حينَ ارتمتْ سورةُ صَوتِكَ

في صورةِ مائهِ.

ملاحظة: ابراهيم القاشوش مغّني الثورة في حماه. صار رمزاً... واختفى.

١٩

إلى الشهيد مشعل تمّو

خَرزةَ زرقاء

في عنق اللغاتِ

حرزٌ

أمانةْ:

...

«آزادي».

ملاحظة: اغتيل الشهيد مشعل تمّو في ٧/ ١٠/ ٢٠١١.

٢٠

ضَميرُ اللَّونِ:

. . .

الأسودْ.

٢١

التُّرابْ

في ليلتكِ الأولى

فَقدَ صَوابَهُ

والزُّهورُ

على عماها

بلا ألوانٍ

تَنبتُ

. . .

دقيقةَ صمتٍ على روحك.

. . .

الترابُ ملكُ العشاقِ

سُلطانُ الرَّياحين

صديقُ الموتى.

. . .

وهذا الدَّهر من الصَّمتْ. . .

جمالُكِ. . .

من برزخٍ إلى برزخ

يَعبرُ.

. . .

فراشةٌ من ضَوء

تحطّ على القصيدةْ

سجادةَ صلاةٍ

تظلّلُ اسمكِ

. . .

هاجر.

ملاحظة: هاجر تيسير الخطيب: من بلدة الرّستن السّورية. استشهدتْ في حافلة النقل العمومي على طريق المدرسة في ٢٩ أيار ٢٠١١ عن عُمر عشر سنواتْ.

٢٢

هذي العيونُ السودُ

ليستْ عُيوني.

هذا الفمُ المكتنزُ

ليس فمي.

هذا الحجابُ ليسَ حِجابي.

وهذه الابتسامةُ المخفيّةُ

في الخَفر

ليست ابتسامتي.

هاتان اليدان

ترتحلانِ في هذا الكون

ليستا يديّ.

وهذا الصراخ البعيد البعيد

ليس صراخي.

. . .

صوتي هذا الصباح

ليس صوتي. . . !

يُدندنُ نغماتٍ

لم أحفظها من قبل

ببحَّةٍ. . . تلعبُ على حبالِهِ

بشجنْ

. . .

صدى الجبال والبحار

والغابات. . .

. . .

كلُّ الدياناتِ

تُصَّلي في صَدريْ

يا زينبْ.

ملاحظة: زينب الحُصني. . . الشابة التي اخطتفتها قوات الأمن في حمصْ وَسَلّمَتْ إلى أهلها جثمان فتاة أخرى بلا ملامح على أنها زينبْ. .

٢٣

حبلُ غسيلٍ لتشميسِ أحزاننا

حبلُ غسيل.

. . .

نامَ الصغيرُ

نبتَ فيهِ شاربُ أخيهِ الشهيدْ

. . .

لبسَ الصُّورةْ

في صدرِ البيتِ

وَسندَ. . .

الجدارْ.

٢٤

في مواسمِ الحرية

. . .

تَصيرُ الهمومُ

الصغيرةُ

الموتُ الصغير. . .

. . .

نذوراً. . .

للفرحْ.

٢٥

الوطنْ
طَعمُ المِلحِ في الذاكرةْ
بينَ الشارعِ والبيتِ
كُلُّ الدُّروبِ إلى الجَنَّةْ.
الغُيّابُ
يَتركونَ عاداتهم أمانةً
في الحارةْ
كي لا تطفأ الأنوارَ
في الشارعِ
كي لا تغلقَ الشبابيكْ
على المارّة.

٢٦

اتركوا النار مضرمة لنعدّ الفطور للأطفالِ في الأجيالِ القادمةْ.

سنبقى في حُضنِ هذي الأرض،

ننحني على قبورِ جَدَّاتِنا،

نقطفُ الحكايات والأعشاب البريّةْ، وَصْفاتْ السَّعاداتْ

مُسكّناتْ... الألمْ.

على القبور...

نتعلّمُ الصُّدفةْ.

...

مَنْ سَيفتحُ الشُّباكَ على الجِوارْ...

مَنْ!

لتهطلَ في الجِّرارِ

مونة السّكر وَ. . . التينِ

والطَّحينِ

وَيطفرُ بِالزَّيتِ

صَدرُ البَيتْ.

٢٧

الجُدرانُ

تُنبّشُ في جيوبِ البيتِ

عن نافذةْ.

٢٨

في العيد. . .

تزور العائلاتْ قبور أحبّتها

أيقونات الألمْ.

أحبّتُنا. .

يُمسّدون الترابَ

لإخوتهمْ في المجازر القادمةْ

كي لا يخافوا عتمة القبرْ.

٢٩

سأرتمي في لوعتكَ

ارتمِ في لوعتي

واغرق يا بحرُ

في دموعي...

نمْ يا حبيبي

...

كلنا ماءْ.

٣٠

إلى حيّ السكنتوري...

أغرفُ دُموعي

منَ البحرِ

وَ... أبكي.

ملاحظة: يوم قُصف حيّ السكنتوري في مدينة اللاذقية من البحرْ.

٣١

أنْ تصلَ إلى الموتِ في مجزرةْ

هذا ليسَ موتكَ...

هذا هو الموتُ.

نُريدُ موتنا...

موتُ المواطنِ فرداً فرداً.

من سرقَ موتنا من تحتِ مخدّاتنا!

من تحتِ أقدامنا...

من سرقَ الموت!

من سرق الموت من المستشفيات

من حوادث السّير...

من الشيخوخة

من الصّدفةِ

من الحُزنِ

عن العتباتِ

من حوادث الغرقِ

من انتحار العُشّاقِ...

من الفُراقِ الطّويلِ...

من الغِيابِ

من الغُربةِ

من الفَرَحْ.

هذا الموتُ...

مجزرةً مجزرةً

ليسَ موتنا...

ليسَ هوَ الموتُ...

...

نريدُ موتنا

فرداً

فرداً

فرداً

فرداً.

. . .

دمعةً

دمعةً

دمعة

دمعةْ.

٣٢

بطّانيّاتٌ ناعمةْ

شّراشفُ مُخطّطة

مؤونةُ الدّلال للأعراسِ القادمةْ

تحفُ الصناديقِ والبقج

على هودجِ الابتسامات والزّغاريد

قوافلُ إعارة العمر لشمسِ الخليجْ. . .

والأفراحِ المؤجلةْ.

البطّانيات الناعمةْ

والشّراشف المخطّطةْ المطرزةْ

على طرقات إعارة العُمرِ. . .

والنّعاس. . .

تلفّ أجساد أهل البيت

الرجال النساء الأطفال. . .

في خنادق المجازر

مضافات الموتْ

كأنّ الشاي بعد قليل

سَيدور في الأقداحْ المُذهّبة

على أهلِ البطانيات الناعمة والشراشف الخليجية

المطرّزة المخطّطةْ

وصوتٌ على طرف الخندقِ

يتشردق بشعاع الشّمس ويغنّي.

. . .

صورة تذكاريّةْ.

٣٣

صناديق الأعراس

المُشنشلة بالفضّةْ

المطعّمة بالذّهبْ

المغمّسة بالملذّاتْ

المُغطّسة بزينة الحياة الدّنيا

المُطرّزة بدروب الحرير

يسألُ مُخملها

عن . . .

دموع الفَرَحْ .

٣٤

من أعالي الجبال

من القرى

من المدنْ

من الأحراج

من الغاباتْ

من الحدائقْ

من تخوت البيوتِ

خشبُ الجنازاتْ.

٣٥

على ظلِّ جناحيها

هَوَتْ

تستريحُ الفراشةْ.

٣٦

لَمْ يَمُتْ!

. . .

الرّصاصةُ. . .

رَنّتْ فوقَ جَبهتِهِ

على قُبلةِ أمّهِ.

٣٧

قبلةٌ

تَرتقُ الزّمنْ.

٣٨

أحببناهمْ. . .

سامَحْنَا بَعضهمْ

نسينا بعضهمْ

أخلصنا لِبَعضِهِمْ

هجرنا بَعضَهُمْ

عادينا بعضهمْ

وحافظنا على خيطٍ من ودادٍ معَ بعضهمْ

ليسَ يصلُ الماضي بالحاضرِ

لكنهُ. . . لا يحفرُ خندقاً في القلبِ

يُعسكرنا

في احتمالِ حروبٍ قادمةْ.

. . .

على أيٍّ من هذهِ الذنوبْ

سيحاسبنا الله! .

٣٩

وَحّدتْ

بيننا الأحزانْ

الأحزانْ بالألوانْ.

٤٠

إلى الفنان التشكيلي جبر علوانْ

على لونٍ أحمرَ كثيفٍ

. . .

الأحمرْ

. . .

هجرَ بغدادَ إلى الشامْ.

. . .

على قوسِ قُزَحٍ

مِن دِمشقَ

إلى بيروت

إلى باريسْ

إلى روما. . .

حرّرَ الألوان

مسقطَ رأسهِ

طريقَ عودتنا

وعودتهِ.

بَيتٌ في مُنتَصَفِ الطريقِ

بينَ البيتِ والبيتِ

دمشقْ.

في الشوارعِ وَالمطاعمِ

والبيوتِ..

والمنافي...

نتقاسمُ الخُبزَ

نُغَمِّسُ زيتَ الزيتونِ

نحكي عن فوائدهِ

نُحيلُ أوقاتنا إلى

يومياتِ

وبديهياتِ

وحاجاتِ

تُحيلنا إلى عائلةْ.

ماتتْ أمُّهُ...

مِتنا...

شمسُ بابلَ ارتحلتْ

في المتاحفِ

في البيوت...

تعزّي...

لوحة لوحةً

قبراً قبراً

نافذة نافذة...

الأصفرْ.

والأحمرُ. . .

أصغى في الأفق.

أغانٍ تعلو. . تعلو

خيطٌ. . .

طفلٌ

طائرةٌ من ورقْ.

زيحٌ أحمرُ

لمْ يُفارقهُ

في طفولتهِ

في سنواتِ غربتهِ

صارَ في الستينْ

وفي شيالهِ الأحمر المطّاط

فوقَ بِنطالهِ. .

على صدرهِ . . .

لا يزالُ

يَلعَبْ .

٤١

تحتَ سنونوةٍ عابرةْ

تفيّا الغريبُ. . .

ظلالُ نخيلِ بلادي قالَ

. . .

وغفا .

٤٢

الدموعُ . . .

أضحياتُ الابتساماتِ

تُذبحُ على العتباتْ .

٤٣

هذا النَّدى . . .

بُحيرات معلقة في الزمن

خلاخيل الطبيعة

أقراطُ الزهر

دموع الموتى

مرايا الفراشات

. . .

الدليل القاطع

العدلْ .

٤٤

يا الله

أرني إنساناً واحداً

لا يُعيدُ ذاتَ الخطيئةْ

التي أصابتْ غيرهُ بالتّعاسةْ.

. . .

أرني هذا الإنسانْ.

. . .

أيها البحر

إذا كنتَ أصلَ الغرقْ

فأنا

أصلُ المرآةْ.

٤٥

عندما بدأتُ ألفظُ اسميْ

بِصوتٍ عالٍ

كنتُ. . .

كمنْ ينطقُ القَسَمْ

في محكمةْ.

٤٦

وحيدةً في الشوارعِ

الشمسُ على الإسفلتِ

لمْ تكن قاسيةً

بلا ظِلٍّ

خفيفةً . . .

كأنني لا أُقيمُ

كأنني . . أعبرُ.

لجمتُ أنفاسي

تابعتُ سيري

من شارعٍ إلى شارعْ

. . .

غُربتي زائلةْ

كهذي الشَّمسْ التي مالتْ نحوَ الغُروبِ

دونَ ألمٍ.

خُطواتي

تَنقرُ على الإسفلتْ

كي يَنتبهْ.

٤٧

إذا ضاقتْ بكَ الدنيا

فلا تَعُدَّ النُّجومَ

تذكَّر . .

أبوابَ أصحابكَ

بَاباً . . . بَاباً

وَتأمَّلْ .

تأمَّلْ كمْ أحزنَكَ

غيابُ بابٍ في يومٍ

كنتَ تعبرُ

المدينةَ مِنْ طَرفٍ إلى طَرفٍ

تلامسُ معدنهُ

يشعرُ بلمستكَ

تشعرُ أنهُ يشعرُ

تنتظرُ أمامهُ بأمانٍ

...

يَحميكَ.

٤٨

يُوقظني قلبي كلَّ يومٍ
أقفزُ منَ النّومِ
قبلَ أن تدهسني
دقّاتُهُ المُسرعةْ.

٤٩

يزدادُ العنفُ

ذرّاتُ الضّوءِ

تنترُ يَدي

كهرّةٍ. . .

تتمدّدُ في الشّمسِ

يلسعها النّومُ

فتصحو.

يزدادُ العنفُ

كهرباءٌ

تلطشُ نومي

بنومٍ أعمقْ.

٥٠

أرفع يدي خلف رأسي. . .

أطوّقهُ

وأتنهّدْ.

في أطراف أصابعي

تهدأُ حاسّة اللمسْ.

٥١

للأغاني الحزينةْ

موسيقا. . .

تنبتُ في التّرابْ.

٥٢

إلى هيثم...

كلَّما حَدَّثْتُهُ عن نهرْ

قالَ: الفراتْ.

كلمَّا انحنينا على ضِفافٍ

قالَ: الفُراتْ.

كلمّا ابتعدنا

شَرَّقنا وَغَرَّبنا

وَدَنونا

قال: الفراتْ.

كلما ضاقت بنا الأحزان...

وأردنا فتح نافذة

تُطلّ على الأملْ

قال:

الأحزان على شطّ الفراتِ

أجملْ.

٥٣

ماذا تعرفُ عن أوجاعِ الحُبِّ

يا حبيبي!

عنِ الفراغِ المُحدِّقِ بنا!

عن الثواني واللحظاتِ والأيامِ. . تختبىءُ فيهِ

تُواري صُدفةَ فراقِنا.

أحني ظهري

أحملُ الزمنَ

أخدعُهُ. .

أُهدهِدُهُ. .

أُضلِّلهُ طريقَ الصُّدفةِ

أُفككهُ إلى ساعاتهِ

أطمرُ عقاربهُ تَحتَ التُّرابْ

علَّهُ بعيداً عنكَ. . .

يَنفجرْ.

٥٤

قالتِ المرأة:

يا فراشةْ

لا تُكثري منَ الرّقةْ.

قالتِ الفراشةْ:

أيتها المرأةْ

لا تُكثري منَ الأسرارْ.

٥٥

كم تعبوا ليختلفوا!

وأنا

. . .

أتبعهمْ

لأشبهَهمْ

. . .

أحبّتيْ.

٥٦

الطمأنينةْ

خُذي منها ما شئتِ

لن تَعثري على كنزٍ!.

خُردة تفاصيلْ...

ابتساماتْ

دموع

ثياب تكبر في فوتوغراف العائلةْ.

صيغة أمّي

ذَهبٌ مُتيبسٌ في الصّورةْ.

وشمٌ أزرقُ داكنٌ.. إكسسوار الذاكرةْ.

خبزٌ ساخنٌ على صباح الطاولةْ.

فراشاتٌ.. تؤرجحُ حبلَ الغسيلِ

تُجفّفُ ألوان الفساتينِ

إبرة مضمومة بخيطٍ أسودٍ

تشبكُ نورَ الجنازةِ بصمتِ التّرابِ

لونٌ أصفرُ.. يَسعلُ التّبغَ

رجلٌ..

صارَ هوّيتي

وابنٌ.. أنا هوّيتهُ.

خُذي..

ليسَ بينَ الأختِ والأختِ

سرٌّ.

٥٧

أحرسُ بواباتها كلّ ليلةْ

وحينَ أفيقُ

تكونُ البارحةْ.

٥٨

في دمشقَ

ليسَ بوسعِ الأصدقاءِ

أن يموتوا

أو يخونوا

أو يُهاجروا.

ليسَ بوسعِ الشارعِ

أن يخلوَ منَ المارَّةْ.

ليسَ بوسعِ الشمسِ

ألا تصحوَ عندَ الشروقِ.

في دمشقَ

ليسَ بوسعِ السُّجونِ أن تُغيِّرَ أمكنتها

اعتدنا زيارتَها. . .

وذرفَ الأحزانِ

وراءَ جُدرانها.

ليسَ بوسعِ بيوتِ الأصحابِ أن

تنغلقَ!

ولو لأسبابٍ بسيطةْ.

ليسَ بوسعِ البائعِ أنْ يُغلقَ

في يومِ عُطلتهِ.

ليسَ بوسعِ الحَبيبِ أن. . يَهْجُرَ.

في دمشقَ

ليسَ بوسعِ طائرةٍ أن تبتعدَ

بأهلِ البلدْ

قبلَ أن تحُطَّ طائرةْ.

ليسَ بوسعِ حادثِ سيرٍ

أن يَقتُلَ

سوى العددِ الذي سيولدُ في اليومِ ذاتِهِ.

ليسَ بوسعِ إخوتي أنْ يبتعدوا

قبلَ أن أجدَ إخوةً

بينَ البَشرْ.

ليسَ بوسعِ أمي أن ترحلَ

قبلَ أن أُصبحَ أماً!.

٥٩

أدقُّ بابيْ

في الذاكرةْ.

٦٠

في دمشقَ...

البيوتُ أيضاً

الحاراتْ

حبالُ الغسيلِ

والدكاكينُ

والأيدي تقامرُ بما تملكُ

والإسفلتُ كلَّ يومٍ

والمشاةُ...

صخبُ الاحتفاءِ بالحياةِ اليوميةْ.

لا تسترجعي الأيامَ

الموتى

وحيدونَ أيضاً بيننا.

. . .

عودي منَ السَّفَرْ. . .

سافري. . .

عودي. . .

. . .

كغريبةٍ إبدأي من جديدٍ.

. . .

لا تنسي

المدنُ العريقةُ

ليسَ لها بداياتٌ

ولا نهاياتٍ لها.

٦١

إلى يواخيم سارتوريوس

الشاعرُ الألمانيُّ الذي زارَ دمشقَ

دونَ كلامٍ يَجلسُ في المقهى

كمُعارضٍ اعتادَ الصّمتْ.

يَشربُ عرقَ الريانْ

يَتذكرُ السِّجنَ

يُحبُّ الشامَ

وَيحلمُ بالهجرةِ إلى برلينْ.

...

يُودِعُ ذاتهُ أمانةً

في عنقِ

كرسي الخيزرانْ

وتحلِّقُ أفكارُهُ في فضاءِ المدينةِ

تبحثُ عن «ابن عربي»

فيسحرُهُ صخبُ الأخضرِ على القبرْ.

. . .

الشاعرُ

بعينينِ صاخبتينِ

دائماً . . . دائماً

يَرى برلينْ.

٦٢

مُتيقظةً...

الليلَ والنهارَ

أعبرُ بينَ اللونِ واللونِ

بلا أثرْ...

فراشةً

في خطرْ.

٦٣

من طباعِ الضوءِ

. . .

الفراشةْ.

٦٤

إلى الشاعرة الكولومبيّة أنجيلا غارسيا

في مرآتكِ ماركيز وأورسولا

في مرآتي درويشْ وريتا.

في مرآتكِ... غاباتُ كولومبيا والدمُ والرقصُ

في مرآتي... الصحراءُ والشعرُ واحتمالات الرَّملِ.

في مرآتكِ تقودكِ العرافاتُ إلى بُحيراتٍ... لتختاري
عصا التجديفِ والسِّحرْ.

في مرآتي يَسيرُ قطيعُ الذنوبِ بالعَصا.

في مرآتكِ فوضى... فقرٌ... فديةٌ

في مرآتي طغاةٌ وظلمٌ.

في مرآتكِ... مشطُ عظمٍ! حملته لكِ الغزلانُ من
طفولةِ الغاباتِ...

في بدايةِ الجغرافيا . . .

في مرآتي . . . ثورةْ.

تدخلينَ مرآتكِ . .

تسبحينَ في بحيرتها الغامضةْ

دوائرَ صغيرةً . . لا تُرى .

وعلى ضفافِ الضوءِ . . دونَ الماءِ!

يَجرحُني الزُّجاجُ .

في مرآتكِ أختٌ لكِ في هذا الكون . .

وفي مرآتي أختٌ لي .

٦٥

أُراكمُ التفاصيلَ

مُفرداتٌ عتيقةٌ

«خردةٌ»

تتدافعُ في فمي

إلى مَسقطِ رأسها

. . .

الصَّمتْ.

٦٦

يفرشُ صفحة الجريدة الرّسميّة اليوميّةْ

على أرض الزنزانة الرّسميّة اليوميّةْ

يضع كسرة الخبز الرّسميّة اليوميّةْ

على فم الديكتاتور الرّسمي اليومي

في الصورة الرّسميّة اليوميّةْ

. . .

السّجينْ .

٦٧

الفراشةُ

. . .

في عُبورِها المُكَثَّفِ

على الأرضِ

تورّطَ باللَّونِ

. . .

جَناحاها.

٦٨

الثانية

التي تحملُ الفَرَحْ

في الثانية

تَرحلْ.

. . .

التي تحملُ الحزنَ

تَبتسمْ

وَتنتظرْ.

٦٩

قالَ الموتى

لو لمْ تُصَدِّقوا مَوتَنا

ما مُتنا!

وقالوا . .

صَدَّقنا حياتكمْ . .

فعِشتمْ .

لحظةَ اختراقهمْ قشرةَ الحياةِ

تَصيرُ :

الحياةُ أغلبيةً

والموتُ . . أكثرْ .

٧٠

الصّمتْ

ممحاةُ الكلامْ.

٧١

إلى جميلة. . . أمّي.

ثوبُكِ المُزَهَّرْ

. . .

تَخلعُ الفراشاتُ

ألوانَها على أطرافهِ

وَتدخلُ.

. . .

الابتساماتُ

بعد رحيلكِ

صارت

بالأبيض والأسود.

II

أمّـهاتٌ

إلى أمّهاتْ الشهداءْ في تلكَ اللحظةْ
في تلكَ اللحظةْ . . .
في تلكَ اللحظة . . .

١

أم الشاب أحمد الفاخوري

(استشهد في أوّل آب ٢٠١١ في حيّ الغوطة في حمص. ظهر شريط فيديو مصوّر لجنازته في حيّ باب السباع في ١٩ تشرين الأول. مستلقياً على خشبة ويد تمسح على شعره وصوت غناء يودّعه).

يَدي سَتظهرُ في صُورة الفِيديو

تُداعبُ شَعركَ...

أنتَ مُستلقٍ على عَرشِ جَنازتكَ

وأنا بين الجُموع بِقربكَ

الورودُ تغطي جسدكَ...

الوردُ الجُوريُّ الأبيضْ.

صوتُ المُغَنّي...

يُدوّخُ قلبي...أموتُ وأفيقُ وأبحثُ عنكَ

أنسى أنكَ أنتَ...

أموتُ علّني أموتُ. . .

أبقى معكَ. . .

أرافِقُكَ. . .

في انزياحكَ عن قلبِ الحياةِ.

عينُكَ السوداءُ المفتوحةُ اللامعةْ في عتمةِ الموتِ

ترى ما لا ترى. . .

تَصمتُ. . .

رموشكَ السودُ الطويلةْ. . .

عشبٌ نضرٌ

في مشهدٍ ليلي

على ضفافِ بحيرةِ الدَّمعِ.

لا أريدُ لهذهِ الجنازةِ أن تَنتهي. . .

أريدهُ أن يذبَحني بهذا المَوالْ

صوتُهُ رصاصةُ قلبي

صلاةُ المَوتى.

من أين يأتي بصوته... هذا المغني!

من صدورِ الموتى يَخرجُ!

من دُعاء الأمهاتِ!

من رحمةِ الآلهةْ!

مِنْ أحزانِ اليَتامى

مِنْ جِبالِ الكراماتِ

من الجبال الشاهقةْ

من وديانِ الأملْ

من خوابي الدمعْ

من جرارِ السكّر

من مونةِ العائلةْ

من ذاكرةِ الولاداتِ

من ذاكرةَ الموتِ

من قِصصِ العشقِ

مِنْ أشواقِ الأرضِ. . .

يَذبحُ شَراييني. . .

يَشقُّ صَدريْ بخنجرِ صَوتِهِ

يَشلعُ دُموعي مِن عُيوني

يُغنّي بدموعي

حبلُ دموعي حِبالهُ الصَّوتيةْ.

الناسْ تَبكيْ

الطيورُ تُصلّي

الأشجارُ تَميدُ

الأرضُ تَتوقَّفُ عنْ دَورانِها

والقاتلُ. . .

يَسمعُ عَويلَ قَلبي

يا فلذةَ قلبي.

رحيلكَ بهجةٌ للأرض. . .

لم أرَ في عُمري رحيلاً مثلهُ. . .

شهادتي في موتكَ ليستْ مَجروحةٌ يا ولدي...

كيفْ!

شعركَ الأسودُ... مُندّى بدمِ الفجرِ

ويدي...

تَمسحُ على شَعركَ

تحتَ هذي الورودُ البيضُ... صدركَ المذبوحُ بالرّصاصِ

والرصاصُ سَيذهبُ مَعكَ إلى التُّرابِ يا حَبيبي

القاتلُ وَالقتيلُ...

ستمحو بصماتِ القاتلِ بدمكَ

لتحيا في موتكَ بسلامْ...

تَصفحُ عنهُ يا حبيبي...

تُطهّرهُ مِنَ الظُّلمِ...

موتٌ واحدٌ يَكفي.

ترتاحُ الرَّصاصاتُ في صَدركَ...

الحياةُ تحتَ الأرضِ صارتْ

وأنا كالضَّبعِ

كلَّ ليلٍ أنبشُ التُّرابَ. . .

أختبىءُ معكَ حتى الصَّباحْ

أكنسُ القَبرَ. . .

أُطعمُ النَّملَ مِنْ شَعريْ. . .

أزرعُ الزهورَ في العَتمةِ. . .

أُصَبِّرُ الوردَ الجوري الأبيضْ. . .

يَشفُّ دمُكَ. . .

فراشةً تكادُ تكون بالألوان.

أصومُ عن الحياةْ. . .

أمضغُ الترابْ

أمضغُ الرصاص

أزهدُ بالنَّظر. . .

ما النَّظر يا نظري!

يا ولدي.

يا ولدي...

صوتُ هذا المطربِ...

صَوتيْ.

٢

أم غياث مطر...

(المتظاهر والناشط السّلمي من بلدةِ «داريّا» قُربَ دمشقْ. قدّمَ الزّهور والماء للجيشِ والأمنِ. اعتقلَ في ٩ آب ٢٠١١ وقُتلَ تحتَ التعذيبِ في ١٠ أيلول ٢٠١١. سلّموا جُثمانه إلى أهلهِ. . . وضعوه على عتبةِ البيتِ، كانَ صدرهُ مخيّطاً بالقطبْ في شقّ طويلْ).

ليسَ على العتبةْ

في صَدرِ البيتِ

ضِحكتكَ ساخنة في صَدركَ

تُلاعبُ طِفلكَ المُنتظرْ.

لن تغيبْ

ما من أبٍ يتركُ جَنينهُ وَيرحلْ.

بعد أشهرٍ سيولد. . .

لنْ يَصرخ وَلدكَ يا وَلديْ

سَيضحكها. . . ضحكتكَ.

وأنا يا حبّة عيني...

عينك الحلوة...

ستحرمني منها.

...

لمحة كلّ يوم.

...

تموتُ الأبطالُ في حياتي يا ولدي...

إنهضْ...

لا يليقُ بكَ الموتُ...

لا تَمُتْ...

لا تَمُتْ

لا تَمُتْ.

...

ضحكتك تتعب قلبي

أركضُ وراءَهَا اللَّيلَ وَالنَّهار

في غُبارِ الشَّمسِ أراها

أمسحُها بِالدَّمعِ. . .

أفَلِّيها مِنَ الرَّصاصِ

وَالسكاكينِ. . . وَصعقِ الكهرباءِ

ضِحكتكَ.

القطب من صدرك الجميل يا جميلي

الذي خيّطوهُ. . .

أنسجها في لحاف السرير. . .

أغزّ الإبر في الفراش

نجّدت كلّ البيت بسلوك ضحكتك الذهبْ.

الفجر. . . أغسِّلهُ

أمسحُهُ بالبودرةْ. . . لينامْ. . .

لتنامْ

لتنامْ

يا ضحكةَ العُمرِ

يا طير سوريا السعيد.

. . .

أمّ القاتل هل عرفتْ حين رأتْ صورتَك

في نشراتِ الأخبارِ

أنكَ أنتَ!.

حينَ غَسَلَتْ غُبارَ ابنِها...

دَمَكَ الطاهر عن بوطه الرياضي الأبيض...

هلْ نقّط دَمكَ مِنْ عَرَقِ جَبينها

شَمَّتْ رائحةَ مَوتِكَ...

وعرفتْ...

هيَ أمّ!.

غسلت بالصابون آثارنا يا ولدي

لتحمي ولدها من لعنة ضحكتكَ.

يغسلون أثركَ يا حبيبي

أيها النظيف

يوزّعون موتك في كلّ المَحطّاتْ

وأنت تضحك... تضحك

وتضحك أكثر.

...

هل عرفتْ أمّ القاتلِ... أنك أنتَ!

أنتَ من يُقهقهُ موتُهُ بين يديها

من تفرِكُ عُمرَهُ بالماءِ المغليّ والصابونْ

هل حيرّها هذا الدّمُ السعيد على بلاطِ بيتها

ضجيجُ هذا الدّم!

سليلُ تراجيديا العصور.

هل حيّرها فضولُ الفراشاتِ على العتبةْ

تتراشقُ ألوانُها دمَكَ

تطير بسعاداتكَ الغابرةْ.

...

الفراشاتْ على العَتَبَةْ

تتراشقُ ضوءَ ضِحكتَكَ

والمرايا في البيتْ

تنهارُ الشّمسُ فيها.

. . .

حين ترى هيَ الأخبار

لا أريد أنا أن أراها.

. . .

سأراها أنا وأنتْ.

. . .

لا أريد في موتكَ يا حبيبي

أن ترى عيني من الدنيا سواكَ

يا ضحكة عيني.

هيَ. . .

هيَ أمّ. . .

ستدعو الله أن يعمي عيون الظالمين

عن ولدها يا ولدي

وأنا. . .

أنا أمّ. . .

دونَ وعيٍ مني يا حبيبي

سأقولُ: آمين.

٣

أمّ الشهيد حمزة الخطيب

(حمزةُ الخطيب من بلدةِ الجيزة التابعة لمحافظةِ درعا. عمرهُ ١٣ عاماً. استشهدَ بتاريخ ٢٩ نيسان ٢٠١١ وسُلّمَ لذويهِ في ٢٥ أيار ٢٠١١ وآثار التعذيبِ واضحة على جَسَدِهِ. مع قطعِ عضوهِ التناسلي).

الممرضة التي أشارت إلى صورتكَ في برنامج التلفزيون

في تقرير الطبيب الشرعي

لستَ ولدها.

كانتْ أظافرُها حمراءَ طويلةْ

وكانتْ تَحمل صورتَكَ برؤوسِ أصابِعِها المَصبوغةِ بِالمانيكورْ

تُحاول ألّا تَتلوثَ بِدمِ الصُّورةْ

تَقرفُ مِنْ مَوتِنا

تَخافُ دَمَنا

يا حمزةْ.

في شريطِ الأخبارِ أكَّدَ الطبيبُ الشَّرعيُّ أنكَ مِتَّ مِيتةَ القَدرْ

أنهم لم يقطعوا حبلَ رجولتكَ

وصالكَ معَ السَّعادات وَالمَلذَّات يا فلذة كبدي

تفتّحَ رجولتكَ...

اشتعال ملذاتكَ

في الثالث عشرْ

في ربيعكَ.

...

الطبيبْ...

حكى عنكَ كدرسِ تَشريحْ

هذا الجَسَدْ: قالْ.

هذا الصَّدرْ: قالْ

هذي العيون: قالْ

وأشارَ إليكَ بالمسطرة

هذا الطبيبْ.

تجاهلَ اسمك

هو: قالْ.

تجاهلَ ابتسامتكَ الموناليزا

قاسها بسنتمتر مُربّعْ.

هل خفتَ...

أمْ أنكَ مِتَّ من الخوف قبل الخوفْ!

أرجو يا صغيري.

المُمرِّضةْ

لمْ تُداعبْ بطرفِ إصبعها عينكَ

خدّكَ الذي كنتُ أقبِّلُ وأنت تَنامْ...

أغطِّيكَ بالدُّعاءْ.

لَمْ تَحرِقْها قُبلتي على شَعرِكَ الأسودْ...

تكبيرُ أبيكَ في أذنكَ

يومَ مولدكَ. . .

لستَ ولدهم يا ولدي.

٤

أمّ الشهيد الطّفل المجهول

الغداء جاهز على الطاولة المدوّرةْ

في المطبخ

كما تُحبّ

اسكب من الطنجرة مباشرةً

الطنجرة المدوّرةْ على النار

أشعل سيجارة

لن أشمّ رائحتها هذا المساء. . .

كل بيديكَ

بالملعقة

كل بقلبي.

أفتح عينيك

ثيابكَ الداخلية مغسولة...

كدّستها لكَ في الخزانة

غيّرتُ لك مكانها

صارت في الدرج الأسفل...

درج لك لوحدك...

الجرابات المثقوبة... خيّطُها

في الدرج الأعلى.

منذ الصّباح وأنا أرتّبُ من جديد

حياتنا في البيتْ.

على النافذةْ أنظر!

إسوارة عرسي العتيقةْ المدوّرةْ

صارت هذا الساتالايت المُدوّرْ.

...

كُلْ ما شئتَ من الخُبز... المُدوّرْ.

كلْ

كلْ بقلبي.

٥

أمّ الشّهيد باسل شحادة

(أصيب السينمائي باسل شحادة الذي كان يوثّق الثورة بالصوت والصّورة... مع مجموعة من الناشطين في قصف قوات النظام على حيّ الصفصافة في حمص التابع لباب السباع. توفيّ متأثراً بجراحه مساء ٢٨ أيار/ مايو ٢٠١٢).

لماذا كلّ هذا الوطنْ!

لماذا كلّ هذا الوطنْ!

كَسرة صَبَاحْ...

...

كانتْ تكفي.

المؤلفة

شاعرة سورية.

مواليد مدينة اللاذقية.

درست السينما في باريس.

عملت في تصميم الأزياء للسينما.

أخرجت عدداً من الأفلام الوثائقية من بينها ثلاثة أفلام ضمن سلسلة (أدب السجون) إنتاج شركة هوت سبوت فيلمز عُرضت على تلفزيون الجزيرة هي:

قطعة الحلوى.

رحلة إلى الذاكرة.

إذا تَعِبَ قاسيون.

كما أخرجت فيلمين وثائقيين ضمن سلسلة «أدب المقاومة» للجهة نفسها:

مديح الكراهية.

كم لنا.

صدر لها:

ليس للروح ذاكرة، وزارة الثقافية ـ بدمشق ١٩٩٤.

على ذلك البياض الخافت، المؤسسة العربية للدراسات ـ عمان، ١٩٩٨.

قليل من الحياة، شعر، رياض الريّس للكتب والنشر، بيروت ٢٠٠١.

هذا الخوف، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت ٢٠٠٤.

كائني أدق بابي، شعر، رياض الريّس للكتب والنشر، بيروت ٢٠٠٨.



دعوة إلى الكتّاب الجدد

تُعلم شركة رياض الريّس للكتب والنشر، قراءها عن إنشاء فرع آخر لها باسم «الكوكب» يختص بنشر الرواية والقصص والشعر والنقد الأدبي. وهي شركة شقيقة وجزء من نشاطات شبكة شركة رياض الريس للكتب والنشر.

وترحب منشورات «الكوكب» بالكتّاب الجدد وخاصة الذين لم يسبق لهم أن نشروا من قبل.

أما شركة رياض الريس للكتب والنشر فتستمر بالتوسع في عنايتها بنشر الكتب السياسية والتاريخية والفكرية والمذكرات والسير والتراجم.

Riad El-Rayyes Books S.A.R.L. BEIRUT - LEBANON

elrayyes@sodetel.net.lb - www.elrayyesbooks.com



إلى جميلة .. أمّي

ثوبُكِ المُزَهَّرْ

...

تخلعُ الفراشاتُ

ألوانَها على أطرافه

وَتدخلُ.

....

الابتساماتْ

بعد رحيلكِ

كلّ الابتسامات

صارت

بالأبيض والأسود.



ISBN-13: 978-9953-21-568-6

